أدوات الربط الحجاجية والتداولية
سورة الزمر أنموذجاً

The Argumentative and Pragmatic Conjunctions Linkage Tools : Surah Al-Zumar as a Model

أ. م . د. ماجد محسن راشد الشجيري
Dr.Majid Mihssin Rashid Alshijairy
Dr.majidalshijairy@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيد المرسلين, وعلى آله الطيبين الطاهرين, وصحابته الأخيار المنتجبين. وبعد...

فقد اهتمت الدراسات اللسانية الحديثة منذ نشأتها باللغة, بوصفها أداة تواصلية, ويمثل الدرس اللساني الحديث ثورة معرفية كبيرة لا تتقيد بحقل دون آخر, إذ نال اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات والتوجهات , فظهر على أثر ذلك منحى لساني جديد , عرف بالتداولية أرسى معالمه وآلياته لسانيون مرموقون , لهم أدواتهم ورؤيتهم في النظر الى اللغة, وقد جذب البحث التداولي الاهتمام اليه؛ لأنه نجح في فتح آفاق أوسع في دراسة اللغة, فاهتمت التداولية بالسياق ,والمقام, والمتكلمين، ومقاصدهم؛ لذلك تعددت الخطابات المعرفية التي بحثتها التداولية, وتنوعت الاغراض والمقاصد التواصلية التي صيغت لأجلها, والتي سعى البحث التداولي الى ابرازها وقت دراستها بهدف تحديد معالمها, وابراز الغايات الابلاغية التواصلية فيها.

ولعل القرآن الكريم بما له من مائز يتجلى في فصاحته ونظمه الأسلوبي جعل من الدارسين أن يستلهموه في قراءاتهم التحليلية وفق تلك المناهج اللسانية الحديثة, وعلى هذا جاء موضوع بحثنا (أدوات الربط الحجاجية والتداولية سورة الزمر أنموذجا) فكانت الدراسة الحجاجية والتداولية محصورة في أدوات الربط العاطفة , ولم أتوسع في تناولها,

فكانت دراســتها على ســبيل الحصر لا الإستدلال, فدرســت أدوات العطف و الإستدراك في سورة من ســور القرآن, وقد وقع اختياري على هذا الموضوع اســتجابة لرغبتي في أن يكون لدي اهتمام وإلمام في الدراسات الحجاجية والتداولية.وأسأل الله التوفيق والسداد .

الكلمات المفتاحية: الحجاجية والتداولية، الغايات الابلاغية التواصلية، سورة الزمر.

Abstract

My entitled research as (argumentative and pragmatic conjunctions) diseusses a Paramount extremely idea .Paramount extremely idea . to speeialists of rhetorie and interpretation . preeisely , when the study of conjunctions links to the pragmatic meaning .Which is a new meaning .That is added to what has been said) about it (before ,rather than its old meaning study ,So, conjunctions ,namely the coordinating conjunctions ,are concerned with word to word or sentence to sentence conncetions ,In other word ,conjunctions link what has come before to what has come after it ,and their relationships to the context ,and their effects on meaning as well ,these conjunctions have been divided into two parts ,particularly ,coordinating conjunctions and reconsideration tool.

Meanwhile ,I am studied in coordinating conjunctions)alwaw ,alfa, thuma ,hataa (and studied in reconsideration tools) bal ,lakna(that are existed in Surah AL -Zumar only .Also ,I am dealt with ,in my study ,the coordinating conjunction and the context in which it is mentioned ,as well as the contexts methods) styles ,linkage tools ,ete (.that have supported and strengthened the meaning for which this conjunction has come.

Keywords: argumentative and deliberative, communicative rhetorical goals, Surat Az-Zumar.

توطئة

إن الغـرض الرئيـس للحجاج هـو التأثير والإقنـاع و التواصـل ؛لـذا ارتبـط مفهومـه بالدراسـات التداولية, لما توليـه من أهمية بين طرفـا التواصـل, فالحجـاج فعاليـة تداوليـة. (الشـهري، الحجاج في البلاغـة الجديدة:٢٨) وهـو :»تقديـم الحجـج والأدلـة المؤديـة الى نتيجـة معينة, وهو يتمثل في انجاز تسلسـلات اسـتنتاجية داخـل الخطـاب, وبعبـارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجـاز متواليات من الأقوال , بعضها هـو بمثابة الحجـج اللغوية, وبعضها الآخر هـو بمثابة النتائج التي تسـتنتج منها .» (العزاوي ابو بكر اللغـة والحجاج:١٦)فضلا عن كونه طاقة كامنة في النص تسـتهدف إقناع المتلقـي ، فالغاية منه ترسـيخ المفاهيم لترسـو حقيقـة يُدرَك عبرها أن الحجاج خطاب ينشـط في إطار عملية تواصلية تخضع الى المسـتوى النحـوي والتداولي ، فضلا عن الجانب الفكري وما وظفه من منطلقات غايتها الإقناع.

إذ يُقرّ (موشـلار و ريبول) بأن الخاصية الأساسية للعلائق الحجاجية هي أن تكون سلّمية وتراتبيـة, وسـبب نعتهـا بهذه الصفـة إنما هو مـا يوفره العامـل الحجاجي مـن تقوية للحجة, حتى يجعلها غير متسـاوية قـوة وضعفا, تأثيرا وإقناعـا, وبالتالي يكون العامـل الحجاجي هو المحـرّك للعلائق الحجاجيـة داخل الملفوظ في ذاته, وداخل القسم الحجاجي حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي فيكون أقـرب تحقيقـا للمفهـوم والنتيجـة. (د. الناجح عزالدين العوامل الحجاجية:١٣٣) أما التداولية فهـي علم قائم على أسـس ومفاهيم يسـعى الى تحقيق مهامه في الميادين المعرفية المختلفة ، لإنجاح الممارسـة اللغوية ،إذ إنه علم لم يكتف بوصف الصيغ اللغوية وتفسيرها والوقوف عند أشـكالها الظاهـرة، ولكنه علم اسـتأثر أن يتخذ التواصل أساسا ينطلق منه فدرس الظواهر في حيز الاستعمال فاحتلت بذلك موقعا مهما لتكون حلقـة وصل بين حقـول معرفية ربطـت بينها وبيـن الحقول اللغوية، ومن ثـم هي علم يبحث عن المعنـى، إذ يقوم بتطويـق الأدلة والقرائن لإكتناه العمق الدلالي للخطاب .

وعلـى أثـر ذلك جـاء هذا البحـث ليركز على دراسة الروابط الحجاجية وتأثير التداولية عليها في سـورة من سـور القـرآن الكريم, لما تحمله هذه الروابط من دلالات حجاجية خاصة بالتداوليـة, إذ إنها تصل المقدمـات بالنتائج بما تطرحه في السـياق, ولما لها من تأثير في ربط السابق باللاحق وتأثيره في المعنى.

والروابـط الحجاجية كثيرة, ولسـنا بصدد دراسـتها, وإنما ما ورد منها في سورة الزمر, وكيف كان لها تأثير في المعنى السـياقي , وما لها من وقع في نفس المتلقي أو السامع.

الروابط الحجاجية

الربط لغة: جاء في العين: ربط يربِط ربطا **والرباط :** هو الشـيء الذي يُربـط به، وجمعه

رُبُـط , والرباط ملازمة ثغر العـدو , والرجل مرابط ,وربطت الشيء أربطه ربطا اذا شددته .(الفراهيـدي الخليل بن احمـد. العين: ٤٢٢/٧ ،الجمهرة:١١٧/٣، اللسان: ٣٠٢/٧)

أما اصطلاحا: فهي التي» تربط بين قولين, أو بين حجتين على الأصح أو أكثر, وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة .»(العزاوي:اللغة والحجاج: ٢٧).

ولكي يتوصل المتكلم الى هدفه الاقناعي يركـز علـى المؤشـرات اللغوية, كـون اللغة تحمـل في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية, تتجلـى في بنية الأقوال ذاتها تسـمح بتدرج وتسلسل الأقوال في الخطاب.

وقـد ميّـز (ديكـرو) بيـن وظيفتين للغة هما : الوظيفـة الحجاجية, والوظيفة الإخبارية, والوظيفـة الإخبارية في نظـره وظيفة ثانوية, بالنسـبة الى الوظيفة الحجاجية, إذ تعد النظرية الحجاجيـة المكونـات والظواهـر الحجاجيـة أساسـية وجوهرية. (سـميرة خميس: الخطاب القرآنـي لآيات الحياة الدنيا. رسـالة ماجسـتير غير منشورة: جامعة بغداد.١٢٧)

ولمـا كانـت اللغـة لهـا وظيفـة, وكانت التسلسـلات الخطابية فيها محددة بوساطة بنية الأقوال اللغوية بتوظيف مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج توصف بالروابط الحجاجية ؛(العزاوي :اللغـة والحجـاج: ٢٦) ولأن الخطاب القرآني يتسـم بالإبلاغيـة فهـو غالبا ما يكـون موجها للإقنـاع؛ لذا يتعين الخطـاب الحجاجي فيه عن طريق آليات مباشـرة أهمها الروابط الحجاجية التي تصل الحجـة بالنتيجة, وتتدخل في توجيه الحجاج.

وتسـهم هـذه الروابط مسـاهمة فاعلة في الانسـجام والتماسـك النصـي؛ لتغـري متقبل الخطـاب إغـراءً ربمـا يحمله علـى الإذعان أو التسـليم بمـا يقولـه المحـاج إذ تتفاعـل هـذه الروابـط داخـل نسـيج الخطـاب لتخلق الدلالـة الحجاجيـة؛ مما يجعـل التوقف عندها أمـرا لابـد منـه ؛ لدورهـا لفاعـل والمهم في النص, فالروابـط الحجاجية أن نعـرف قيمتها الحجاجية إلا بالعودة الى سياقها؛ لذا تُعد الروابط مؤشـرا مهمتـه القيـام بعمليات حجاجيـة .(د. مثنى:اسـلوبية الحجاج التداولي والبلاغي:٥٨) ومن الظواهر الحجاجية اللغوية التي استرعت اهتمـام (ديكـرو) هـي الروابـط النحوية مثل (الـواو, الفـاء, ثـم,....) والروابـط التداوليـة الحجاجيـة نحـو(لكن, بـل, حتى) فـاذا كانت الروابط النحوية تحقق لنا الانسجام النحوي في النص, فان الروابط التداولية تعمل على تحقيق الانسـجام التداولـي والحجاجـي .(الحجاج في المثل السائر:١٢٤)

ويمكـن أن نرصد مجموعة من الروابط الحجاجية في الخطاب القرآني من خلال سورة الزمر , نتناول فيها وظيفة هذه الأدوات وقيمتها الحجاجيـة داخـل الملفـوظ ، وقد قسـمتها الى مايأتي:

أدوات العطف :

إن النص عبارة عـن جمل متعاقبة ، ولكي تفهـم وحدة مسـبوكة تحتـاج الـى أدوات ربط متنوعـة ، فالعطـف أول وسـيلة مـن وسـائل

التماسك النصي والعلاقات التي بين المساحات أو بين الأشـياء التي في هذه المساحات وتحديد للطريقـة التي يترابـط بها اللاحق مع السـابق بشـكل منظـم .وإن أدوات الربط تكون وسـيلة من وسـائل تحقيق مفهوم السـبك النصي على مستوى الشكل ، وتكون أيضا وسيلة من وسائل تحقيق مفهـوم (المسـببية) في الحبـك النصي على مسـتوى مضمون . ويتضـح من ذلك أنها تمثل جزءً من المسـاحة المشتركة التي جوّزها الـدرس النصي الحديـث بين مفهومي السـبك والحبـك ووسـائل تحقيقهما في النـص اللغوي .(ابن هشام :مغني اللبيب :٤٠٨)

وضمت سورة الزمر الكثير من الروابط لا سيما حروف العطف , فكل واحد منها له مكانه المناسـب الذي وُضِـع له, فيما يتعلق بالسـياق والوظيفة ، التي أسـندت لـه, إذ إن لكل حرف وظيفته ومعناه الخاص به دون غيره, علما أني لـم أتطرق الـى كل الحروف ، وإنمـا اخترت طائفـة مـن حـروف العطـف خشـية التكرار والإطالة ، وهي كما يأتي :

- الواو :

تعـد الواو مـن أهم الروابـط الحجاجية في الخطاب القرآني عامة, وسـورة الزمر خاصة, إذ اشـار النحاة الى أنها» تفيـد مطلق الجمع». (خزعل:جهـود الباحثيـن العراقيين النحوية، اطروحـة دكتـوراه ،جامعـة ديالـى:٣٨٥)إذ يجمع هـذا الرابط بين الحجـج بعضها ببعض, لتحقـق النتيجة الموجودة, فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة , ويأتي لترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض. (الشهري، استراتيجيات الخطاب:٤٧٢)والواو مـن أكثر الروابط ذكرا في القرآن الكريم, وكذلك هو في سورة الزمر, إذ ورد ذكـره في أكثر آيات السـورة المباركة, يربط المعنى السـابق باللاحق, أو يعطف جملا علـى أخـرى, أو معنى على معنـى, وكل ذلك حشدا للسياق والمعنى.

وقـد ذُكر هـذا الرابـط في سـبع وأربعين آية من آيات السـورة ,إذ بلغ عـدد آياتها خمس وسـبعون آيـة. ومـن ذلـك مـا ورد فـي قوله تعالـى:» فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَـذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ « الزمـر ٣٢. أراد الله - تبـارك وتعالـى – في هـذا النص القرآنـي أن يبيـن أنّ أعلى مراتب الظلـم هو الكـذب على الله ,وذلـك عن طريق الشـرك , بأن نسـبوا له الولـد والصاحبة- جلّ وعـلا – عـن ذلـك. ثـم بعـد ذلك ربـط –عزّ وجل- جملة الشـرك بجملة أخرى ,وهي أيضا نـوع من أنواع الكـذب , إذ إن الكذب بعد الواو ليـس كالكذب الذي قبلها , وقد قال النحاة : «إن الشـيءلا يعطف على نفسه» (الشاوش،اصول تحليـل الخطـاب:٤١١٧/١), وهذامأفادته أداة الربـط (الواو), إذ جعلت التكذيـب بالقرآن أو التوحيـد, أو الرسـول(ابن الجـوزي:١٨٢/٧) معطوفا علـى التكذيب على الله بالإشـراك به, وهو أشد مراتب ظلم النفس.

وقـد جمـع الله – جـلّ وعـلا- فـي هـذا النـص بين الكذبيـن , إلا أن الكذب الثاني ليس كالأول, وقـد « تسـتعمل الـواو فـي التعبيـر للجمـع بيـن المعطـوف والمعطـوف عليه في

الحكـم والإعراب جمعا مطلقا ولا تفيد الترتيب والتعاقـب». (د.معوض،حـروف المعانـي) إذ ربـط –جـلّ وعـلا- بيـن حجتيـن , وهما : التكذيب علـى الله, والتكذيب بالقرآن أوالتوحيد أو الرسـول؛ من أجل التأثير في المتلقي وحمله على الإذعـان الى النتيجة من هـذا الخطاب». (د.الدريدي،الحجـاج في الشـعر العربي:٢٣) وهي التحذير مما سـيلقاه من عذاب ومكانة في جهنم , اذا اسـتمر في التكذيب , إذ عمل الرابط (الـواو) على ربط الحدث الثاني بالأول ؛ ليفتح المجـال أمام المتلقي للحجة بالتـدرج, وبالتالي تصبح أكثر إقناعا و انسجاما.

وقد تم توظيف الرابط الحجاجي (الواو) في الخطاب القرآني واسـتثماره لتقوية الحجج والحفـاظ علـى انسـجام النص واسـتمراريته, وتدرجـه ,إذ عمـل الرابـط علـى الإيضـاح والتوكيـد للنتيجـة المضمـرة وهـي التحذيـر والتقرير. (سميرة،الخطاب القرآني:١٤٥)

وقـد شـكّلت بنية الإسـتفهام المنفي نسـقا حاضنا للخطاب ؛ لإتخاذه بُعدا سـاعد في إبلاغ الخطاب الإقناعي بصيغتـه التقريرية (أليس), لتقريـر حقيقة أن جهنـم هي المكان المناسـب للمكذبين. وهذا ما اثبته مجيء الإستفهام منفيا, إذ يكـون «أوقع في النفس وأدل على الإلزام». (د.فضل،البلاغـة فنونها وافنانها:١/١٩٠) كما أن التقريـر بالإسـتفهام المنفي يحمـل المتلقي علـى الاقرار والإعتراف بأمر قد اسـتقر عنده ثبوته.(ابن هشام مغني اللبيب:٢٢)ضمن حقيقة غيـر مختلـف عليها عنـده .ويدخل الإسـتفهام ضمن التوجهات عند (اوسـتن وسيرل) فيكون الغرض منـه توجيه متلقي الخطاب الى الانتباه لما سيؤول اليه الأمر في التكذيب على اختلافه, مما يفضـي الى قوة انجازية انتقلت في سـياق الآيـة الكريمـة الـى التقريـر والإذعـان؛ لما للحجـة الواردة بعد الواو مـن مصداقية لإيمان النـاس بهـا وتوافقهم عليهـا لتواترهـا عندهم (سـميرة،الخطاب القرآنـي:١٤٧) وقد يتطلب الحجـاج الوقوف على أدلـة تخاطب بها الحس السليم والعقل القويم . ونلحظ مما تقدم أن النص القرآني قد ساق مسترسلا الإنذار ضمن توظيف حـرف العطـف (الواو) ممـا دلّ علـى التتابع ضمن ارتبـاط زمني متـدرج؛ لتحقيق غرض حجاجـي مفـاده الإقتناع بـأن التكذيب على الله – جـلّ وعلا- هـو أعلى غايـات التكذيب ,مما أعطـى قوة في التقريـر, وأن «القوة والغرض عنصـران مكمـلان للمعنـى فالقـوة درجـة و الغـرض وظيفة ولكل غـرض رئيس أغراض فرعية وفقـا لسـياقات الإتصال.»(تعديل القوة الإنجازية:٣١٩) فضلا عـن الحجة التوصيلية للواو إذ إنه أوصل الحجة الأولى وهي التكذيب علـى الله, بالحجـة الثانية وهي الكـذب بالقرآن أو الرسـول, كمـا قـام بترتيبهـا وجمعها؛ من أجل الوصـول للنتيجة ؛لأن غايـة هذه الحجج هو تثبيت النتيجـة وتقويتها لتكون أكثر قبولا , وأقوى تأثيرا في المخاطب . وعليه فإن العلاقة الحجاجيـة هي أن الكذب على الله والكذب على القـرآن والرسـول هي حجـج, والـواو رابط, والعذاب ومؤاه جهنم النتيجة. والله اعلم./

- الفاء :

تُعد الفـاء من الروابـط الحجاجية المهمة , التـي تؤدي أثرا فاعلا في ترتيب الحجج وربط

النتائج بالمقدمات , ويسهم هذا الرابط في بناء النص وانسجامه, ومن ثم يسمح هذا الانسجام باقامة علاقة حجاجية بين الحجج , والنتائج فهي تعمل على الربط بين الأحداث, وبالتالي تجعل الحدث مقنعا لدى المتلقي .(التراكيب التعليلية في القرآن:١١٨) و» يتحقق الربط من خلال علاقات دلالية أساسية إذ يعتمد تفسير أحد العناصر في النص على العنصر الآخر؛ لهذا قد الربط داخل الجملة أو بين الجمل «(د. عزة شبل.علم لغة النص:٩٩).

وقد يؤدي حرف (الفاء) الوظيفة نفسها التي يؤديها الرابط السابق (الواو), إذ يقوم بالجمع بين الحجج , وبالتالي تقويتها لتؤدي الوظيفة المطلوبة , فهو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة والمتساندة . وهناك فرق بين الواو والفاء في دلالة التركيب .(سيبويه ،الكتاب:٤٢٩/١) وقد تأتي الفاء لإفادة الترتيب بغير مهلة بنوعيه(المعنوي والذكري) مع إشراك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم , سواء كان الإشراك من حيث الإعراب رفعا ,ونصبا, وجزما, أو من حيث الاسمية أو الفعلية, أو من حيث المعنى. وكذلك تفيد التعقيب , أي بلا مهلة. وتأتي للسببية غالبا أي أن ما قبلها علة وسببا لما بعدها , كقولنا : أعطيته فشكر, فالإعطاء سبب الشكر, والمسبب يقع ثاني السبب وبعده متصلا به, فلذلك جاءت الفاء لهذا المعنى.(ابن يعيش،شرح المفصل:٤٢٩/٣،وشرح ابن عقيل:١٨٧/٣)

والفاء من الروابط الحجاجية التي وردت في القرآن الكريم بكثرة , لاسيما في سورة الزمر, وقد جاء ذكرها خمس عشرة مرة , منها قوله تعالى:» أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». الزمر٢٢.

في هذه الآية الكريمة بيّن الله- جلّ وعلا- قوة الربط بين هذه الآيات, شرح الصدر للاسلام, ونور الهداية من الله, ونتيجة التغافل والنسيان عن ذكره- جل وعلا- ؛ لذلك كرر الفاء ثلاث مرات , ففي الجملة الاسمية الأول نبه

على أن شرح الصدور من النعم التي منّ الله بها على نبيّه الكريم محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- في الإسلام, وهي تدل على الثبوت , إذ إنها ركّبت من جملتين. وقد عطف هذه الجملة على ما قبلها ؛ لأنه –جلّ وعلا- في تعداد نعمه التي أسبغها على البشر عموما , وأمة محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- خصوصا. ثم ربط الجملة بالأولى, وكأنما لُطف الله ونوره وهدايته, مرتبط بشرح الصدر للإسلام , ثم ذكر- جلّ وعلا- نتيجة من غفل عن ذلك , وهي الويل , والقسوة في القلب , وهو أشد درجات العناد والتكبر, فهم في ضلال دائم. إذ رُبطت هذه النتيجة بما قبلها أيضا , حتى يكون السياق واحدا في دلالته على التعبير عمّا أراده الله من هذه الآية الكريمة .

وذكر الزجاج أن « هذه الفاء فاء المجازاة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته , والجواب متروك لأن الكلام دال عليه ويؤكد ذلك قوله –جل وعلا- (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) يقال قسا قلبه عن ذكر الله ومن ذكر الله , فمن قال من ذكر الله فالمعنى كلما تُلِي عليه ذكر الله قسا قلبه.... ومن قال عن ذكر الله

فالمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله «.(الزجاج،معاني القرآن واعرابه:٣٥١/٤ ،وينظر:الكشاف:٣٩٤/٣)

وقد أعقب – جلّ وعلا- شرح الصدر للاسلام بالنور, وهذا ما أفادته (الفاء) إذ طوت الحدث طيا بأسرع ما يكون , وهو من الفنون البلاغية البديعة, الذي حقق قصر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على ما قبل الرابط (الفاء) ووقوعه على ما بعده,(ينظر:النحو الوافي:٤١٠/٣) أي لا تراخي في الزمن ؛ لأن النور والهداية كانتا في غاية السرعة بعد انشراح الصدر للإسلام ,وكانت (الفاء) حلقة الوصل بينهما , إذ توجب وجود الثاني بعد الاول , والأمر بينهما قريب .(ينظر:ابن السراج الأصول في النحو:٥٥/٢) ويمكننا القول إن العلاقة الحجاجية هي أن شرح الصدور والنور والهداية حجج , و(الفاء) رابط , وقسوة القلب هي النتيجة علما أن العلاقة الحجاجية قائمة بين المتكلم والمخاطب .

إذ إن المعنى في هذا النص القرآني رفض المساواة بين أمرين ,علما أن الجواب كان مقدرا , ولم يكن بطريقة النفي وانما كان باقرار أحد الخيارين إما انشراح الصدر للاسلام والهداية , وإما قسوة القلب عن ذكر الله.(د.تمام حسان،البيان في روائع القرآن:٢٠٢/٢)

ثم :

ثم من الروابط الحجاجية, لها نفس الوظيفة التي يؤديها الرابط الحجاجي (الفاء) في اقتضاء الترتيب , ولكنها بين المعطوف والمعطوف عليه مدة أطول من الفاء, «ويفيد الترتيب بمهلة».(المرادي،الجنى الداني:٤٢٦) بمعنى أن الثاني يأتي بعد الاول بمهلة , وهذه المدة قياسها متروك لما متعارف عليه وشائع , فضلا عن السياق ,إذ لا يمكن وضع ضابط يحدد المدة طويلة أو قصيرة ؛(المعوض،حروف المعاني:١٥١) لأن ما يُعد وقتا قصيرا في أحد المواقف قد يكون طويلا في غيره , فلا يوجد قطعية على مدة التراخي من جهة اللفظ , وهذا الرابط لا يقوم بالجمع بين الحجج وانما يقتضي الترتيب بينها , فاذا أُتي بهذا الرابط في الخطاب زالت صورة التشريك والجمع , بتوظيف الرابط (ثم) ضمن تركيب مناسب بحسب ما يقتضيه الخطاب من تركيب, وبذلك يلتفت المتلقي الى المقتضيات المطلوبة من السياق.

ومما سبق فان الرابط (ثم) يتعلق بالطريقة التي ترتبطبها استنتاجات الخطاب لاسيما أن دلالات عطفه هي التشريك لكننا هنا نشير الى أن هذا الرابط لا تقتصر وظيفته بهذا فحسب من الناحية النحوية , وأنما يأتي على المستوى الحجاجي أداة اجرائية ذات بعد أكبر من جانبها اللغوي المحظ , بيد أن الرابط (ثم) أداة تؤدي الكشف عن مقصدية المتلفظ بالخطاب , وتوضيح نواياه من خلال سياق المقام الذي هو مجموع الشروط الطبيعية والاجتماعية والثقافية , وضمن هذه المعطيات ساهم الرابط (ثم) في اتساق النص , وابراز دلالاته الحجاجية في آيات سورة الزمر, وقد عده منظروا الحجاج رابطا مهما ؛ لأنه ذو بعد حجاجي تداولي .(د.مثنى،اسلوبية الحجاج:٨٠)

إن الربط الحجاجي بحرف العطف (ثم) يكون بين وحدتين دلاليتين , أو أكثر في

إطار استراتيجية واحدة؛ لذا فقد يكون الربط بين عناصر غير متجانسة.(العزاوي،اللغة والحجاج:٢٩)وبتوظيف (ثم) ضمن تركيب مناسب بحسب ما يكتنف الكلام من ترتيب , وبذلك يلتفت المتلقي الى المعطيات المطروحة في السياق . وقد ورد ذكر الحرف (ثم) في سورة الزمر عشر مرات , منها قوله تعالى :» أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ».

إن من روائع مواقع (الفاء وثم) وأدلها على إعجاز القرآن في وضع الحرف موضعه الملائم له ما تعاورتا فيه مواقعهما من مشتبه النظم الحكيم ,وفي هذا النص القرآني نرى أن الحرفين قد اجتمعتا هنا وأضفتا على النص هالة من المعنى الدلالي والبلاغي, ما يعجز الانسان عن ادراكه والانبهار والعجب منه, والوقوف أمامه بوقار واجلال.

وقد نبه الرضي على ذلك في حديثه عنهما فقال : « ثم اعلم أن افادة الفاء للترتيب لا ينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل , اذا كان أول اجزاءه متعقبا لما تقدم, كقوله: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) الحج ٦٣. فان اخضرار الارض يبتديء بعد نزول المطر لكن يتم في مدة ومهلة , فجيء بالفاء نظرا الى أنه لا فصل بين نزول المطر وابتداء الاخضرار, ولو قال: ثم تصبح نظرا الى تمام الاخضرار جاز .» (الاستربادي،شرح الرضي:٣٨٨/٤)

وقد آثر الله- جلّ وعلا- في هذا النص الحكيم حرف المهلة (ثم) في مجال الامتنان بنعمة نزول الماء وأثره في حياة الانسان, والنبات, فأطال المشهد وأبطء في إيقاعه؛ ليتيح الفرصة للتدبر وادراك عظيم قدرة لله- جل وعلا- فيما تشاهد من عجائب صنعه , وفي هذا النص مجال التذكر , وإنعام النظر, وذلك يناسبه مط الزمن , وعرض المشهد ببطء ؛ ليدرك السامع تفاصيله , ويقع على ما خفي ودقّ منه ؛ لذلك لم يعقب نزول الماء خروج النبات , وإنما نبه على أمر هو من أعظم دلائل القدرة قوله: « فسلكه ينابيع في الارض», فأراك مرحلة طواها... وهي حركة الماء يجري أنهارا فوق سطح الارض, أو يتسرب الى باطنها, فيجري تحت طباقها ليمثل مخزونا يتفجر آبارا وعيونا , وقد جاء حرف المهلة في قوله: (ثم يُخرج به زرعا) ليطيل زمن التأمل في الماء وهو يأخذ طريقه الى باطن الارض, يمهد لخروج النبتة الصغيرة, ويشق لها حجب الارض , ويزيل عنها ما يعيق طريقها الى النور والهواء , وكأن الماء لا يروي ظمأها فحسب , وإنما يفتح لها نوافذ الخروج الى الحياة , ... ولما كان الزرع باختلاف ألونه يستدعي طول التأمل والنظر فيما أبدع الله من هذا التنوع في الألوان والطعوم والروائح في نبات تحتضنه تربة واحدة ويُسقى بماء واحد, دخلت (ثم) فيما عطف عليه؛ لتطيل زمن المشاهد (ثم يهيج فتراه مصفرا) حتى هذه المرحلة من الشيخوخة لا يستعجل القرآن عرضها؛ لأنها طور من أطوار النبات, فلا يتعجل بنهايته قبل

بلـوغ الغاية التي أرادها الله (ثم يجعله حطاما). (الخضري،من اسـرار حروف العطف:٢٧٢) إذ حققت أداة الربط (ثم) الوفاء بهذا الغرض.

فضـلا عن ذلك فقد شـكلت بنية الإسـتفهام المنفـي نسـقا حاضنا للخطـاب؛ لإتخـاذه بُعدا سـاعد فـي إبلاغ الخطـاب الإقناعـي بصيغته التقريريـة (ألم) لتقرير حقيقة إنـزال الماء من السماء ثم يسلكه ينابيع تجري فيسقي بها الزرع ثـم ينمو الى أن يصبح حطاما, مما جعلها حقيقة واقعيـة معروفة عنـد المتلقي؛ لأن الإسـتفهام المنفـي « أوقع في النفـس وأدل على الإلزام». (د.فضل،البلاغة فنونها وافنانها:١٩٠/١)

ومـن أجـل كون الحجـة واقعيـة مدركة بالإخبـار , اتجـه النـص بذكـر الحقائـق التي أوجدها الخالق –جلّ وعلا- . فالعلاقة الحجاجية فـي هـذا النص , هـي أن (ثم) رابـط حجاجي , وإنـزال المطـر وتفجيـر العيـون والينابيع , وإخـراج الزروع بمختلـف أنواعها ما هي إلا حجـج واقعية معروفـة عند المتلقـي , وتذكير أولي الألباب هي النتيجة ؛ ومن أجل تدعيم هذه النتيجة جاء بالحجج متسلسلة بالرابط الحجاجي (ثم) الذي أفـاد المهلة والتراخي في الزمن بين هذه الحجج . والله اعلم

حتى :

اختلـف النحاة البصريـون والكوفيون في إعـراب (حتـى) ,وكذلك فـي أنواعهـا وتأتي لإنتهـاء الغايـة, أو التعليـل, أو الإسـتثناء. (المالقي، رصف المبانـي:١٩٥ وينظر،الجنى الداني:٥٤٢)وهـي من الروابط الحجاجية التي تكـون فيها الحجة الثانيـة أقوى من الأولى بناء على ما قدمه (ديكرو) في وصف حجاجي بديل عن الوصف التقليدي, فلا ينحصر دور (حتى) في اضافـة معلومة جديدة الى القول فحسـب , وإنمـا يتمثل دورها الحجاجـي في ادراج حجة جديـدة أقـوى مـن الحجـة الأولـى المذكورة, وتخدم الحجتان نتيجـة واحدة متفاوتة في القوة .(العزاوي،اللغة والحجاج:٢٧)

ويتوقـف دورهـا الحجاجـي علـى نوعهـا , ف(حتـى) الجـارة التي تعنـي انتهاء الغايـة تكون قوتها الحجاجية أكبر من العاطفة, على أن يراعي المرسـل شروط مجرورها في التركيـب , وهي أن تجر الاسـم الظاهر , وأن يكـون جزء أو ملاق لآخر الأجزاء, وأن يكون مجرورهـا داخلا فيما قبلها علـى الغالب, وأن يكون الإنتهاء به أو عنده . أما العاطفة وبالنظر الى شـروط المعطوف بأن يكون بعض ما قبلها أو كبعضـه , أو أن يكـون غايـة لمـا قبلها إما فـي زيادة أو نقـص , فالزيادة تشـمل التعظيم، والنقص يشـمل الضعف والتحقير.(ابن هشـام مغني اللبيب:١٢٦) ويرى (ديكرو وانسكوبر) في شـأن هـذا الرابـط (حتى) الحجاجـي , أن الحجج المربوطة بوساطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي الى فئة حجاجية واحدة , فالقول المشتمل على الرابط (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجـي .(العزاوي،اللغـة والحجـاج:٧٣) أضف الى ذلك أن « العامل (حتى) في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة , بل إن العامل قبل ذلك يرسـم له صورة المسـلك الذي ينبغي عليـه أن يقطعه للوصول الـى النتيجة , وهـو في أثناء ذلك كله يقوي النتيجة التي يروم

الملفوظ إيصالها , وعليه فان السلّمية يفضحها العامل في حد ذاته , ... إن ما يسبق (حتى) وما يليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكل, وهنا يظهر مفهوم السلّمية, فما يأتي قبلها أضعف أثرا في إيصال النتيجة , في حين أن ما يليها أقوى نجاعة في الحجاج, وكل هذا من جراء أن الجزء أكثر إقناعا , لدقته, من الكل, وأن العام لغموضه أقل نجاعة من الخاص.» (د.الناجح،العوامل الحجاجية:١٣٤)

وقد وردت (حتى) في سورة الزمرمرتين, منها قوله تعالى :» وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين «. الزمر٧٣

إن الخطاب في هذا النص القرآني بين الله- جلّ وعلا- وبين نبيّه – صلى الله عليه وآله وسلم – بصيغة الإخبار الذي يمثل حقيقة ينطلق منها الحجاج ؛ من أجل إقناع المخاطب أن هناك فريقين أحدهما يساق الى النار وجحيمها, والآخر يساق الى الجنة ونعيمها . فالسياق القرآني فيه بشرى للمؤمنين الذين خافوا الله وعبدوه حق عبادته ,والناظر في هذه الآية الكريمة يرى أن (حتى) قامت باشراك الكلام اللاحق لها في حكم الكلام السابق لها , أي: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) إذ إن مجيئهم وفتح الأبواب لهم حجة تكون نتيجتها دخول الجنة والخلود فيها, وتجعل غايتها الوصول الى تأكيد النتيجة المتوصل اليها من تأكيد الحكم بوساطتها, ف(حتى) هنا ليست لمجرد جمع الحجج وضمها , بل تأتي لإضافة الحجة على الحجة السابقة فتزيد من تأكيد النتيجة, فالحجة الأقوى هي سوق المتقين برفق الى الجنة ؛ لأن غايتهم الجنة ونعيمها, وذلك هو الفوز العظيم.

جاء في الكشاف: « (حتى) هي التي تُحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي شرطية إلا أن جزاءها محذوف, وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدلّ بحذفه على أن شيئا لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد (خالدين).. وقيل أبواب جهنم لا تُفتح ألا عند دخول أهلها فيها ,وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها , بدليل قوله: (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) فلذلك جيء بالواو كأنه قيل : حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها فان قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق ؟ قلت: المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف, كما يُفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا الى حبس أو قتل , والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم ؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعا بهم الى دار الكرامة الرضوان كما يُفعل بمن يُشرّف ويُكرّم من الوافدين على الملوك فشتان ما بين السوقين.»(الزمخشري،الكشاف:٤١١/٣ ،وينظر:الطبرسي،جامع الجوامع:٢٣٠/٣ ،ابوحيان،البحر المحيط:٤٢٥/٧)؛ فالعلاقة الحجاجية هي: إن (حتى) رابط حجاجي, ومجيئهم وفتح الأبواب وترحيب الملائكة بهم ما هي إلا حجج قوية متسلسلة, (فادخلوها خالدين) هي النتيجة, بدليل أن الفاء وقعت جوابا لـ(إذا) الشرطية, أي: إن الجنة داركم فاسكنوها مخلدين منعمين فيها.

ف(حتى) هنا تربط بين حجج عديدة , وهذه الحجج متساوقة , بمعنى أنها تخدم نتيجة واحدة, والنتيجة المقصودة هي قوله: (فادخلوها خالدين) إذ إن الحجة التي تلي الرابط, هي الحجة الأقوى, ومعلوم أن دخول المتقين الجنة, وتفتيح أبوابها, وترحيب الملائكة بهم, هي غاية المؤمنين وأمنيتهم.

وتظهر عملية التقوية للحجة في حركة التوجيه التي تقوم بها (حتى) في الملفوظ , من العام الى الخاص, ومن الكل الى الجزء, وفي هذا التمشّي رفع للغموض وتعدد المفاهيم, إذ إن من وظائف العامل الحجاجي القضاء على الغموض وحصر النتيجة حصرا. (د.الناجح،العوامل الحجاجية:١٣٦)

أدوات الإستدراك :

وردت في سورة الزمر أدوات عدة, منها: أدوات الاستدراك, ومعناها أن ما قبلها يستدرك ما بعدها, وهي (لكنّ و لكن وبل) وهي كما يأتي:

بل:

جاءت (بل) عند النحاة لنفي كلام وإثبات غيره, قال الرماني:» وهي من الحروف الهوامل, ومعناها الإضراب عن الأول, والإيجاب للثاني.»(الرماني،معاني الحروف:٧١)أي: ينقل حكم ما قبلها الى ما بعدها, ويستعمل هذا الرابط على أحد الوجهين, حسب ما يرد بعده .(الشهري، استراتيجيات الخطاب:٥١٥) فاذا جاءت بعدها جملة فهي حرف ابتداء , تفيد الإضراب إما على جهة الإبطال , أو الترك للإنتقال , وإذا وقع بعدها مفرد فهي حرف عطف, ويتحدد معناها بحسب الكلام الذي يسبقها , فاذا تقدمها أمر أو إيجاب فهي لإزالة الحكم عما قبلها , جعل ما قبلها كالمسكوت عنه وجعل الحكم لما بعدها, أما إذا تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير حكم ما قبلها على حالته, وجعل ضده لما بعدها, وهي لا تكون نسقا بعد الإيجاب, وإنما تكون نسقا بعد النفي, وما جرى مجراه.

وتكمن حجاجية هذا الرابط (بل) في أن المرسل يرتب بها الحجج بما يمكن أن نسميه بالحجج المتعاكسة ؛ وذلك لأن بعضها مثبت وبعضها منفي ؛ لأن بل حرف اضراب يفيد الإبطال.(سميرة ،الخطاب القرآني:١٤١)

ومن أمثلة ذلك ما يقوله شخص متهم بالتقصير في عمله: لم اتقاعس عن العمل بل اجتهدت فيه. إذ أبطل التقصير عندما نفاه , ومن ثم أثبت الإجتهاد, وبذلك أنجز فعلين لغويين مع المحافظة على ترتيبهما حجاجيا باستعمال الرابط (بل), وربما لا يريد المرسل إبطال ما قبل (بل) بقدر ما يريد الإنتقال من درجة دنيا في الحجاج الى درجة أعلى, مثل : نحن لا نظلمك بل أنت مغرور, وكذلك الحال لو تقدمها نفي أو نهي .(الشهري ،استراتيجيات الخطاب:٥١٥)

وبناء على ما سبق من معطيات لسانية يتسم بها الرابط (بل) فان الإضراب الإنتقالي هو أن تنتقل من غرض الى غرض آخر, مع عدم إرادة إبطال الكلام الأول .(السامرائي،معاني النحو:٢٥١/٣) وهذا يعني أن الرابط الحجاجي (بل) يعمل تعارضا حجاجيا بين ما قبله وما بعده , وبهذا يوجه القول بمجمله نحو النتيجة المضادة , فالحجة الأولى حكمها النفي, والثانية حكمها الإيجاب والإثبات.(د.ناجح،العوامل

الحجاجيــة:١٦٥) إن الربــط ب(بــل) يجعــل الحجة الثانيــة أقوى من الأولى , وكما في قوله تعالى: « فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَـانَ ضُـرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ « الزمر٤٩.

بيّـن الله-جلّ وعلا- في هذا النص القرآني أن الانســان لا يلتجــيء الــى الله إلا إذا أصابه مكـروه أو ضـرر, فعندها يدعـو الخالق –عزّ وجـل- أن يخلصه مما هو فيه, ويعطيه الله ذلك بعـد مهلـة وتراخي في الزمـن , ومع ذلك فهو ينكـر بأنه لم يدعو أحـدا , وهذه هي الفتنة التي يصــاب بها المغرور بنفســه , وهو ما لا يدركه أكثر البشـر « فتلك العطيــة فتنة من الله وبلوى يبتلـي بهـا ليشـكر أو يكفـر. وكل مـن أُعطي على غيـر جزاء فقـد خـول .(الزجاج،معاني القران:٣٥٧/٤)

وقـد جعل الرابط الحجاجي (بل) الفتنة , التي هي الحجة الثانية أقوى وأشـد في النفس مـن حجة الإعطاء والنعمـة ومس الضر , وإن هـذه الألفاظ المكونـة للقسـم الحجاجي يصدق عليها قول (موشـلار وريبول) حين تكون ثمة علاقة رتبة , أو قوة داخل القسم الحجاجي تقول إن الحجـج تنتمي الى نفس السـلم الحجاجي... فالسـلّم الحجاجي إذن هو قسـم حجاجي موجه, إذ إن التوجيـه الحجاجـي هـو الإتجـاه الـذي يأخذ الملفوظ في سـبيل الوصول الى قسـم من النتائـج , والذي يُظهر عمليـة التوجيه ويعطي للملفـوظ الحجة مكانها في السـلّم ويسـوّغ لها أن تكـون مفضية الى النتيجـة , إنما هو العامل الحجاجي .(د.ناجح،العوامل الحجاجية:١٤٥)، إذ إن الرابـط يقيـم علاقة حجاجيـة مركبة من علاقتين حجاجيتيـن فرعيتين, علاقة بين حجة مـس الضر, وإعطاء النعمة , والتكبر والإنكار والنتيجـة, والعلاقة الحجاجية الثانية تسـير في اتجـاه النتيجة المضادة , أي : بين الحجة القوية التـي تأتي بعـد (بل), وهـي الفتنـة, والنتيجة المضادة للنتيجة السـابقة التـي هي مس الضر وإعطـاء النعمـة والإنكار.(العـزاوي، اللغـة والحجاج:٦٣)

وعليه فان العلاقة الحجاجية لهذه الآية الكريمة هي: إنَّ مس الضـر، وتخويل النعمة، والتكبـر، والإنـكار هو الحجـة الأولى, و(بل) هو الرابط الحجاجي, والفتنة هي الحجة الثانية, وعدم العلم والنسيان والتغافل هو النتيجة.

وقـد سـاعد هذا الرابط علـى الانتقال من غرض الى آخر , وقد أفضى الى دلالة حجاجية أقوى, فسيرورة السـياق كشفت عن حدث مهم وهـو أن إعطاء النعمة والإنكار لها , ما هي إلا فتنة واختبار للإنسان أيكفر أم يشكر.

ومما سـبق يتضح لنـا أن(بل) تنفي مـا قبلها بإثبـات الحجة التـي تليهـا , فدورها الحجاجـي يكمـن في توجيههـا للخطاب برمته , فهـي تنفي الـكلام الأول وتقصيه تماما لتثبت الـكلام الذي بعدهـا, وهذا ما جعلهـا من أقوى الأدوات حجاجا. (الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم:٣٥١).

لكن:

ورد الرابـط (لكـن) فـي القـرآن الكريم مشـددا ومخففـا, وأورد النحويـون فـي معنى (لكـن) مشـددة النـون أقوالا: « أحدهـا : وهو المشـهور أنه واحد وهو الإستدراك وفسّر بأن تنسـب لما بعدها حكما مخالفا لحكـم ما قبلها ؛ ولذلـك لابـد مـن أن يتقدمهـا كلام مناقض لما

بعدها , نحو ما هذا ساكنا لكنه متحرك , وضد له نحو ما هذا أبيض لكنه أسود . قيل : أو خلاف نحو ما زيد قائما لكنه شارب, وقيل لا يجوز ذلك. والثاني: أنها ترد تارة للإستدراك وتارة للتوكيد... ومثلوا للتوكيد بنحو: لو جاءني أكرمته ولكنه لم يجيء , فأكدت ما أفادته (لو) من الامتناع. والثالث: أنها للتوكيد دائما مثل (إنّ) ويصحب التوكيد معنى الإستدراك, ...» .(ابن هشام،مغني اللبيب:٢٨١).

وأما ساكنة النون فهي:» ضربان مخففة من الثقيلة وهي حرف ابتداء لا يعمل خلافا للأخفش ويونس لدخولها بعد التخفيف على الجملتين خفيفة بأصل الوضع فان وليها كلام فهي حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك وليست عاطفة ويجوز أن تستعمل بالواو.... وبدونها.»(المصدر نفسه:٢٨٣).

أما من حيث كونها رابطا حجاجيا فهي أداة تربط بين عبارتين متفاوتتين في القوة الحجاجية, مثال ذلك: لماذا تكذب عند التحقيق معك؟ ما كذبت لكني احتلت في كلامي. إذ عمد المرسل الى نفي الكذب أولا ثم ارتقى بحجاجه درجة, وهي اثبات الحيلة .(سميرة،الخطاب القرآني:١٣١) فالرابط الحجاجي (لكن) يمثل قوة حجاجية , ويقيم تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمه وما يتلوه, فضلا عن الدليل الذي يرد بعد هذا الرابط يكون أقوى من الذي يرد قبله , وتكون له لغلبة بحيث يتمكن من توجيه الخطاب بمجمله فالحجة الثانية تكون أقوى من الحجة الأولى. (العزاوي، اللغة والحجاج: ٦٠، وينظر:الشلاهي، البيان والتبيين في ضوء البلاغة الجديدة:١٣٢)، وهي من الروابط التي حظيت باهتمام كبير من قبل (انسكوبر و ديكرو) اللذين ميزا في دراستهما للأداة بين الإستعمال الإبطالي, والإستعمال الحجاجي, إلا أن ما يميز وجود هذا الرابط في اللغة العربية, هو استعماله في الإبطال والحجاج ويمثل الرابط (لكن) في القول الحجاجي علاقة القوة من جهة , والتعارض الحجاجي من جهة أخرى , فهي تستعمل في دحض النتيجة من الحجة التي تأتي بعدها. ونرى ذلك في قوله تعالى: « وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ». الزمر ٧١ الخطاب في هذا النص القرآني ، موجه من الله تعالى الى الكافرين « ولما ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال بيَن بعد كيفية أحوال الفريقين وما أفضى اليه كل واحد منهما فقال (وسيق) والسوق يقتضي الحث على السير بعنف , وجواب (إذا) (فتحت أبوابها) ودلّ ذلك على أنه لا يفتح إلا إذا جاءت كسائر أبواب السجون فانها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم (وقال لهم خزنتها) على سبيل التقريع والتوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم.... (قالوا بلى) أي قد جاءتنا ... وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم... وصرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب.» (ابو حيان،البحر المحيط: ٤٢٤/٧، وينظر: الطوسي، جامع الجوامع:٢٣٠/٣)

وقد بين الله- جلّ وعلا- أن العذاب واقع بالكافرين لا محالة, بعد ما ألقى –جلّ وعلا- عليهم الحجج والبراهين, فلم يبق أمامهم مخرج للإعتذار أو الهروب, فقال (ولكن حقت) فكلمة العذاب طغت على المشهد وأصبحوا في عداد أهل النار. وهذا ما أفادته (لكن) في تعارضها , إذ إنها تعمل في النص الحجاجي على إيجاد تعارض بين ما يتقدمها وما يتأخر عنها, بحيث تكون الحجة الثانية أقوى من الأولى ؛ لأن الكلام فيها يساق صوب النتيجة المضادة التي يتبطنها معنى (لكن) نتيجة يراد الوصول اليها. (الشلاهي ،البيان والتبيين في ضوء البلاغة الجديدة: ١٣٢).

فالعلاقة الحجاجية توضح أن الكافرين المساقين الى النار وأبوابها, وملائكة العذاب, والكتب المنزلة هي الحجة الأولى, و(لكن) مثّلت الرابط الحجاجي, ثم الحجة الثانية وهي كلمة العذاب, أما النتيجة فهي ما سيؤول اليه مصيرهم، والله أعلم.

الخاتمة

بعد غمار الخوض في دراسة بعض الروابط الحجاجية التي وردت في سورة الزمر, كان لابد من أن نبين أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج, وهى كما يأتي:

١ - تنوع الأساليب الخطابية التي استعملها القرآن الكريم في الآية الواحدة, فعندما نريد دراسة حرف ما, نجد معه في نفس الآية حروفا أخرى, لها عملها ودلالتها في السياق, فقد يذكر مع الرابط حرف النفي أو الاستفهام أو حرف عطف آخر, وهذا ما يعطي الرابط تأكيدا وقوة تضاف الى السياق, وهو ما جعل التعبير القرآني معجزا في نظمه.

٢ - اتضح مما تقدم أن لكل أداة من أدوات الربط معان دلالية تجعلها أقوى من الأداة الأخرى في الاستعمال, وإن كان لكل أداة استعمالها الخاص, إذ إنّ لكل حرف حجيته في المكان المناسب.

٣ - تحقق المعرفة المشتركة والإنسجام بين الحجة والنتيجة, إذ عرفها بعض المحدثين بمفهوم الوضع حين ميّز بين الإستدلال والحجاج, فضلا عن التماسك النصي الذي تضفيه على النص.

٤- يتسم الحجاج بالروابط الحجاجية بالإقناع؛ لذا فهو موجه لتغيير قناعات المتكلم, فضلا عن كون هذه الروابط تصل الحجة بالنتيجة وتؤثر في توجيه الحجاج.

٥- تظهر أهمية المنهج التداولي في دراسة الروابط للأغراض والمعاني البلاغية التي تؤديها, مما يعني أن لهذه الروبط بُعدا تداوليا يؤدي الى تعدد المعاني الإنجازية.

المصادر

* استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، الرياض
* أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية): د. مثنى كاظم
* أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية(تأسيس نحو النص): محمد الشاوش

، المؤسسة العربية للتوزيع , تونس, ط١, ٢٠٠١ م.
* الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (٣١٦هـ) تح: د. عبد الحسين الفتلي, د ت.
* البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): د. فضل حسن عباس, دار الفرقان للنشر, عمان- الأردن, ط٢, ١٩٨٩ م.
* البيان في روائع القرآن دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني: د.تمتم حسان, عالم الكتب, ٢٠٠٣ م.
* البيان والتبيين دراسة في ضوء البلاغة الجديدة :د.فالح عبدالله الشلاهي , مكتبة عدنان, بغداد – العراق, ط١, ٢٠١٧م.
* تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ): تح:الشيخ عادل أحمد عبد الواحد وآخرين, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط٢, ٢٠٠٧ م.
* تفسير جوامع الجامع :للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم, ط٢, ١٤٣٠هـ .
* جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) تح: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملاين, ط١, ١٩٨٧م .
* الجنى الداني في حروف المعاني: بدر الدين أبو محمد الحسن بن القاسم المصري المرادي (٧٩٤ هـ) تح: د. فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان , ط٢, ٢٠١٦هـ).
* الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د.سامية الدريدي, عالم الكتب, الحديث, اربد- الأردن, ط٢, ٢٠١١ م.
* حروف المعاني : د. سلمان معوض المؤسسة الحديثة للكتاب ,طرابلس – لبنان , ٢٠٠٨ م, د ت .
* الخطاب القرآني لآيات الحياة الدنيا دراسة تداولية : سميرة خميس عبود ,رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية العلوم الاسلامية- جامعة بغداد، ٢٠١٩ م.
* رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النورالمالقي(٧٠٢هـ) تح: د. سعيد صالح مصطفى زعيمه, دار ابن خلدون للنشر, د ت.
* زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي(٥٩٧هـ), زهير الشاوش, المكتب الإسلامي ,ط٤, ١٩٨٧ م.
* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء عبدالله بن عقيل(٧٦٩هـ): تح:محمد محي الدين عبد الحميد, دار الغدير- قم, مطبعة المعراج, ط١, ١٤٢٩هـ .
* شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستربادي (٥٩٨ هـ) تح: يوسف حسن عمر, جامعة قار يونس, ط٢, ١٩٧٨م.
* شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(٦٤٣هـ) تح: أحمد السيد سيد أحمد, المكتبة التوفيقية, القاهرة- مصر .
* علم لغة النص النظرية والتطبيق :د. عزة شبل محمد ,مكتبة آداب القاهرة, ط١, ٢٠٠٧م .
العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د.عز

الدين الناجح ,مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر, صفاقس – تونس ,ط١, ٢٠١١م .
* العيـن : لأبي عبد الرحمـن الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥ه) : تـح : د.مهدي المخزومي ود.ابراهيم السـامرائي ,وزارة الثقافة والإعلام – العراق ,دار
الرشيد للنشر, ١٩٨٢م .
* الكتـاب : لسـيبويه عمـرو بـن عثمـان بن قنبر(١٨٠ه) تح :عبد السـلام هـارون , مكتبة الخانجي- القاهرة ,ط٣ , ١٩٩٨م .
* الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨ه) , دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ,د ط .
* لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بـن مكـرم بـن منظـور(٧١١ه) ,دار صادر- بيروت .دت.
* اللغـة والحجاج : أبو بكـر العزاوي : العمدة في الطبع , ط١, ٢٠٠٦م .
* معاني الحروف : أبو الحسـن علي بن عيسى الرماني(٣٨٤ه) , تح: الشيخ عرفان سليم العشا حسـونة, المكتبـة العصرية, بيـروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م .
* معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحاق ابراهيم بن السـري الزجاج(٣١١ه) تح :د. عبد الجليل عبـده شـلبي , دار الحديـث ـــ القاهـرة ,ط, ٢,١٩٩٧م .
* معانـي النحو: د. فاضل صالح السـامرائي, دار الفكر، عمان – الأردن , ط٢، ٢٠٠٣.
* مغنـي اللبيب من كتب الأعاريب: جال الدين بن هشـام الأنصـاري(٧٦١ه) تـح : دز مازن المبارك، دار الفكر , بيروت , ط٣, دت.
* من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم(الفـاء ثم): د. محمد الأميـن الخضري , مكتبة وهبة , القاهرة , ط١, ٢٩٩٣م .
* النحـو الوافـي مع ربطه بالأسـاليب الرفيعة والحيـاة اللغوية المتجددة : عباس حسـن , دار المعارف بمصر , ط٣, د ت.

الرسائل والأطاريح

* جهود الباحثين العراقيين النحوية في دراسـة كتـاب سـيبويه مـن ٢٠٠١-٢٠١٧ م . عبيـر خزعل خلف ،اطروحة دكتوراه ، جامعة ديالى ،٢٠٢٠م ، لم تنشر.